دراســـة

أزمةُ البيتِ الشيعيِّ: موقفُ النُّخب الدينيَّة مِن احتجاجات العراق وَلبنان



ⓒرصانة - المعهد الدولي للدراسات الإيرانية ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصياد ، محمد السيد
أزمة البيت الشيعي: موقف النخبة الدينية من احتجاجات العراق ولبنان. / محمد السيد الصياد .- الرياض ، ١٤٤١هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ١-٢-٩١٣٦٥-٦٠٣-٩٧٨

١- الشيعة - العراق ٢- العراق - الاحوال السياسية - العصر الحديث ٣- لبنان - الاحوال السياسية - العصر الحديث أ.العنوان
ديوي ٣٢٠,٩٥٦٧ ١٤٤١/٣٠٦٤

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٠٦٤
ردمك: ١-٢-٩١٣٦٥-٦٠٣-٩٧٨

أزمةُ البيتِ الشيعيِّ:
موقفُ النُّخب الدينيَّة مِن احتجاجات العراق وَلبنان



مقدمة

أظهرت انتفاضتا العراق وَلبنان، ذلك الخلاف الفلسفيّ وَالفقاهيّ الكامن بين المرجعيات الدينية الشيعية، ذلك الخلاف بين التقليديين والإصلاحيين، وكذلك بين النجف وإيران.

فالإصلاحيّون الذين يمتدّون بجذورهم إلى آية الله النائيني مُنظّر الدستورية يَنشدون دولةً مدنية، ذات حريات وَسيادة شعبيّة حقيقية، ويتعاملون مع الأوطان وحدودها المرسومةً بفقهٍ الواقع، بخلاف الأصوليين من النّخب الدينية الإيرانيّة الذين ينظرون إلى خطّ الدستورية بريبةٍ وَشكّ، ويقدمون عليه تيار «المستبدة» بزعامة الشيخ فضل الله نوري، إلّا أنّهم في الوقت نفسه كثيرًا ما

يتعاملون بنوعٍ من البراغماتية في إبراز هذا الوجه أو ذاك.

فالخلاف إذن بين التيارين خلافٌ تاريخيّ على مستوى التأسيسات الفلسفية وَالفقهية، فانسحب على فقه الدولة، والمواقف السياسية. ففريقٌ يريد تأسيس دولة مدنيةٍ حديثة تتحاكم إلى القوانين والدستور والمؤسَّسات، وفريقٌ يرى وجوب تأسيس دولةٍ دينيةٍ تنوب عن المعصوم إلى حين ظهوره.

هناك خلافٌ لا يقلّ أثرًا عن ذلك الخلاف بين الأصوليين الحركيين والإصلاحيين، هو ذلك الخلاف بين التقليديين أنفسهم، فالتقليديون الحركيون من الولائيين/ النخب الدينية الإيرانية، ينظرون بريبةٍ إلى التقليديين الانتظاريين/ النجفيين، ويرون فيهم عناصرَ سلبية لا تُعبّر التعبير الصادق عن الثورة الحسينية، هذا الخلاف يمتد إلى زمن آية الله محسن الحكيم وَالخمينيّ عندما كان في النجف.

لكنّ العلاقة بين هؤلاء جميعًا لا تتحاكم إلى الفكر والقناعات المذهبية فحسب. لكن قد تخلقت شبكات مصالح وَنفوذٍ سياسيٍّ وَاقتصاديٍّ عنكبوتية، مع مرور الزمن، فباتت تلك المصالح محددًا مؤثرًا مِن محددات العلاقة بين هذه التيارات.

وإذا كانت المرجعية العليا في النجف لا تؤمن بولاية الفقيه، ولا بالعمل السياسيّ في ظلّ غياب المعصوم، إلّا أنّها تدلي برأيها في الأحداث المحورية بالنسبة للداخل العراقي، وليس مِن عادتها أنْ تصدر بياناتٍ لما يحدث خارج العراق، بخلاف النُّخبَة الدينية الإيرانية التي تؤمن بولاية الفقيه وَمركزيتها، وكونها مِن ضرورات المذهب الشيعي، وامتداد ولاية الفقيه لتشمل كافة الشيعة بل

والمسلمين في العالم كلّه، وليس داخل الحدود الإيرانية فقط، وهيمنة المرشد الأعلى الإيراني حتى على غيره مِن الفقهاء، وعدم إيمانه بولاية الفقهاء، أو مجلس شورى الفقهاء، أو صيغةٍ تحدّ مِن صلاحياتها أو تعمل على تقسيمها.

هذا الاعتقاد الجازم لدى النُّخب الدينية الإيرانية الولائية جعلها تنظر إلى الشيعة العراقيين وَاللبنانيين، والجماعات الشيعية المحليّة كرعايا للوليّ الفقيه، وَتتعامل معهم بنفس منطق التعامل مع المجتمع الإيرانيّ على مستوى الوصاية والولاية، فالاقتصاد وتحسين معيشة المواطنين أمرٌ ثانويّ في النظرية السياسيّة لدى تلك النُّخب، في حين أنّ الثورة والهيمنة، والتمدد والتطييف تأتي كمرحلةٍ أولى في فكر هؤلاء.

ولذا فإنّنا وجدنا خلافاتٍ عميقةً بين النُّخب الدينية الشيعية إزاء انتفاضتيْ/ ثورتيْ تشرينٍ الأولً في العراق وَلبنان، فالإيرانيون لم يلتفتوا إلى معاناة الشعوب، ولذا ردّوا الأمر برمته إلى المؤامرة والأيادي الخارجية كعادتهم في كافة التظاهرات التي تُهدد مصالحهم، وأمنهم وحدودهم، في حين أيّد فقهاء محليون إصلاحيون وتقليديون تلك التظاهرات لإدراكهم أنّها تظاهراتٍ عفوية، تسبب فيها فساد نخب الحكم المحلية، والهيمنة الإيرانيةً على تلك البلدان.

وفي هذه الدراسة نسعى إلى تفكيك مواقف رجال الدين والحوزات العلمية من انتفاضتيْ تشرين الأول في العراق وَلبنان، وَأثر تلك المواقف على علاقة الجماعة الشيعية مع النُّخبة الدينية الإيرانية.

مدخل:
بيئة الحدث.. انتفاضاتٌ ذات جذور

في أول أكتوبر 2019م اندلعت انتفاضة العراقيين –وهي الانتفاضة الأكبر في العراق منذ الغزو الأمريكي 2003م-ضد الفساد وَالبطالة وَالهيمنة الإيرانية، وَتركزت المظاهرات في بغداد ومدن الوسط والجنوب العراقي، ذات الكثافة الشيعية، وهتف المتظاهرون ضد إيران وضد المرشد الأعلى، ورددوا عبارات: «إيران برة برة» وأحرقوا صور الخمينيّ وَخامنئي وبعض قادة الحشد الموالي لإيران [1].

وامتدت التظاهرات لتشمل عواصم التشيع المركزية مثل النجف وكربلاء، وهتفوا ضد إيران والمرشد الأعلى، ففي الثامن والعشرين مِن أكتوبر قامت القوات الأمنية بفض اعتصام للمتظاهرين في مدينة كربلاء، إحدى عواصم التشيع المركزية، مما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 14 محتجًا، وإصابة أكثر مِن مئة آخرين [2]. وفي الثالث مِن نوفمبر، حاول المتظاهرون الشيعة اقتحام القنصلية الإيرانية في كربلاء، وأحرقوا العلم الإيراني، وصورة

(1) جبريل العبيدي، مظاهرات العراق... ثورةٌ ضد التغلغل الإيراني، الشرق الأوسط، 6 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nyw

والعربية نت، العراق.. قتلى وجرحى وفرض للطوارئ وهتافات ضد إيران، 3 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nyx-

(2) منظمة العفو الدولية، العراق: مشاهد مروعة للجوء قوات الأمن إلى استخدام القوة المميتة لتفريق احتجاجات كربلاء، 29 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/np2

المرشـد الأعلـى، وهتفـوا ضـد الهيمنـة الإيرانيـة [1].

وترجـع الأزمـة إلـى مـا قبـل ذلـك التاريـخ ففـي سـبتمبر2018م، علـى سـبيل المثـال، اندلعـت مظاهـرات كبيـرة فـي مدينـة البصـرة، احتجاجًا علـى تلـوث الميـاه والفسـاد، وقطـع الميـاه عـن المدينـة بسـبب السياسـة الإيرانيـة تجـاه العـراق فيمـا يخـصّ بنـاء السـدود ومنـع تدفـق الميـاه إلـى الأراضـي العراقيـة. وقـام المتظاهـرون بحـرق القنصليـة الإيرانيـة فـي البصـرة، ورفـع الشـعارات المنـددة لإيـران [2]، ثُـمَّ تجـددت الاحتجاجـات مـرةً أخـرى فـي يونيـو2019م [3]، وفـي أغسـطس-سـبتمبر2019م نظـم مئـاتٌ مِـن الحاصلـين علـى شـهادات عليـا –ماجسـتير ودكتوراه-وقفـاتٍ احتجاجيـة أمـام مجلـس الـوزراء العراقـي فـي وسـط بغـداد، وقامـتْ القـوات الأمنيـة بقمعهـم وفـضّ اعتصامهـم بالقـوّة، وأدانـت المرجعيـة العليـا اسـتعمال القـوة ضـد المتظاهريـن وقتئـذ، وشُـكّلت لجنـة تقصـي حقائـق لمعرفـة أسـباب وأبعـاد اسـتعمال القـوةً ضـد المتظاهريـن [4].

---

(1) بـي بـي سـي: مظاهـرات العـراق: متظاهـرون فـي مدينـة كربـلاء يحاولـون اقتحـام القنصليـة الإيرانيـة، 4 نوفمبر2019م.
http://ksa.pm/not

والجزيـرة نـت: ليلـة رعـب جديـدة.. خفايـا مثيـرة عمـا يجـري فـي كربـلاء، 4 نوفمبـر2019م. http://ksa.pm/nou

والجزيـرة نـت: غضـب المتظاهريـن العراقييـن يمتـد إلـى القنصليـة الإيرانيـة فـي كربـلاء، 4 نوفمبـر2019م. http://ksa.pm/nov

(2) الحـرة: إيرانيـون يعلقـون علـى حـرق قنصليـة بلادهـم فـي البصـرة، 7 سـبتمبر2018م. http://ksa.pm/nyy

(3) الجزيرة نت: بالصور.. مظاهرات البصرة تعود من جديد، 29 يونيو2019م. http://ksa.pm/nyz

(4) القـدس العربـي: العـراق: حملـة الشـهادات العليـا يتحـدّون القمـع ويجـددون تظاهراتهـم للمطالبـة بفـرص عمـل، 26 سـبتمبر2019م.
http://ksa.pm/nnn

والعتبـة الحسـينية المقدسـة: تعـرف علـى موقـف المرجعيـة الدينيـة العليـا مِـن حملـة الشـهادات العليـا وماهـي الكلمـة التـي وجهتهـا للحكومـة والجهـات النيابيـة، 26سـبتمبر2019م. http://ksa.pm/nno

ولـم يتـمّ التعامـل بجديـة حينئـذ مـع تلـك المظاهـرات ولا مـع مطالـب الجماهيـر، إذ تـمّ اللعـب علـى عامـل الوقـت، وهـدوء موجـات التظاهـر. لكـنّ اللافـت أنّ الهتـاف ضـد إيـران كان واردًا فـي أغلـب تلك الموجات التظاهريـة التـي انطلقـت أساسًـا مِـن مـدنٍ شـيعية، أو ذات كثافـة شـيعية، فـي حـين أنّ هتـاف المـدن ذات الكثافـة السـنية فـي تظاهـرات 2013م كمثـال، خـلا تقريبًـا مِـن ذكـر اسـم إيـران.

وعلـى المسـتوى اللبنانـي، فـإنّ انتفاضـةً أخـرى قويـة اندلعـت مسـاء الخميـس 17 أكتوبـر2019م، ضـد الحكومـة والفسـاد والضرائـب الجديـدة، وبعـد يـوم واحـد فقـط مِـن نشـوب التظاهـرات ألقـى الأمـين العـام لحـزبٍ اللّه حسـن نصـر اللّه خطابًـا يـوم السـبت 19 أكتوبـر، رفـض فيـه جميـع مطالـب المتظاهريـن وعلـى رأسـها: تشـكيل حكومـة تكنوقـراط، أو إجـراء انتخابـات نيابيـة جديـدة. وفـي تهديـدٍ صريـح للمتظاهريـن هـدد حسـن نصـر اللّه بنـزول حـزب اللّه إلـى الشـارع، قائـلًا: «سـتجدوننا جميعًـا فـي الشـارع ونغيـر كل المعـادلات»[1]. وأصـدر الجيـش اللبنانـي بيانًـا رسـميًّا بعـد خطـاب نصـر اللّه ينحـاز فيـه للمتظاهريـن، ويؤكـد تضامنـه مـع مطالبهـم[2].

وبعـد خطـاب نصـر اللّه نـزل المتظاهـرون بعشـرات الألـوف إلـى الشـوارع فـي عمليـةٍ أشـبه بالتحدي للتهديـدات المبطنـة التـي جاءت

(1) بـي بـي سـي: مظاهـرات لبنـان: الجيش يتضامـن مـع المتظاهريـن ونصـرالله يحـذر "سـوف ننـزل إلـى الشـارع ونغيـر المعـادلات"، 19 أكتوبـر2019م. http://ksa.pm/nz1

(2) الموقـع الرسـمي للجيـش اللبنانـي: بيـان حـول التحـركات المطلبيـة للمتظاهريـن، 19 تشـرين الأول 2019م. http://ksa.pm/nz7

في خطابه، وهتفوا ضده، بوصفه مِن ضمن الفاسدين [1]. واللافت أنّ مدينة النبطية في جنوب لبنان ذات الكثافة الشيعية -والمحسوبة على حزب اللّه-شهدت مظاهرات كبيرة وضخمة مما يشير إلى هشاشة الحواضن الشعبية لحزبٍ اللّه التي ضخمها في الأعوام الماضية [2].

أولًا: موقف النُّخب الدينية الإيرانية مِن انتفاضتيْ العراق وَلبنان

في بادئ الأمر اختلفَ الموقف الإيرانيّ تجاه تظاهرات كلٍ مِن العراق وَلبنان، فاتخذ مِن انتفاضة العراقيين موقفًا معاديًا وَوصائيًا، في حين كان خفيف اللهجة تجاه مظاهرات اللبنانيين، لكن ومع استمرار كلا الانتفاضتين، اتخذ الموقف الرسمي الإيرانيّ ممثّلا في أكبر رأس دينيّ وَسياسيّ علي خامنئيّ صورةً أكثر حدية، وسلبية تجاه الانتفاضتين؛ استشعارًا لخطر تقزيم النفوذ الإيرانيّ المذهبيّ وَالسياسيّ في الإقليم، إذا ما نجحت أهداف الانتفاضتين الرئيسة الممثلة في نبذ الطائفية والمحاصصة، وبناء دولةٍ مدنيةٍ حديثة.

1- موقف المرشد الأعلى.. فقه الدماء

في بدايات الموجة الأولى لتظاهرات العراقيين أوّل أكتوبر2019م،

(1) سي إن إن بالعربي: رد متظاهرين على كلمة حسن نصرالله امين عام حزب الله.. مقاطع فيديو تبرز بتويتر، 20 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nz8

(2) الحرة: "ثورة.. ثورة" من بيروت إلى "مناطق حزب الله".. والأمن في الشارع، 18 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nz9

قال المرشد الأعلى علي خامنئي، في تدوينة رسمية له على تويتر: «إنَّ الأعداء يسعون لدق الإسفين بين العراق وإيران، ولكن بلا جدوى» [(1)]، وقد تجاهل تمامًا دماء أكثر مِن مئة شهيد سقط في تلك التظاهرات في موجتها الأولى، ممَا يُثير أسئلةً عميقةً حول فقه الدماء عند النخبة الدينية الحاكمة. لكن إذا رجعنا إلى المقولات الدينية والفقهية، لتلك النخب، سنجد أنّ إراقة الدماء مبررةٌ وَمشروعةٌ في سياق الحفاظ على الدولة الإسلامية، وولاية الفقيه.

فآية اللّه مصباح يزدي [(2)]، يرى وجوب استعمال القوة للحفاظ على الحكومة الإسلامية حتى ولو كانت منبوذةً منذ أكثر مِن نصف الشعب فيقول: «الكمّ ليس معيارًا في الحفاظ على الحكومة، بل المعيار أنْ يقدّم عددٌ مِن أتباع الإمام عليه السلام، أو ولاية الفقيه المشروعة دعمهم للمحافظة على الحكومة، أحيانًا تكون نسبة هؤلاء 90%، أو 50%، أو 40%. إنّه الولي الفقيه، مأمورٌ بالمحافظة على الحكومة الإسلامية، فما دام هناك مَن يمكن بواسطتهم المحافظة على الحكومة الإسلامية فإنّه ملزمٌ بالمحافظة عليها، لذا، فلا اعتبار بالكميّة» [(3)]. فيجب بقاء الحكومة حتى ولو لمّ يكن لها داعمين سوى 10% من الشعب، بأيّ صورة ووسيلة كانت

(1) رابط تدوينة خامنئي، بتاريخ 6 أكتوبر2019م.
1180922270535032833/https://twitter.com/ar_khamenei/status

(2) هو أحد فلاسفة النظام ومُنظّريه المعاصرين، وُلد سنة 1934م، أخذ عن الطباطبائي، والخمينيّ. وهو من الصقور المتشددين في نظام ولاية الفقيه.

(3) محمد تقيّ مصباح اليزدي: ''آنجه روشنفكران مذهبى ادعا ميكنند، انكار دين است''، رضا صنعتي، كفتمان مصباح، ص658.

[1]. فالأهـداف الإسـلامية إذا لـم يتيسـر تحقيقهـا إلا عـن طريـق العنـف، عندئـذ يُصبـح هـذا العنـف ضـرورة [2].

وليـس ذلـك فحسـب بـل يجـب القتـل خـارج نطـاق القانـون، ودون الرجـوع إلـى القضـاء [3]، ذلـك لحمايـة القيـم الإسـلامية للدولـة [4]. ثـمّ يتـمّ تملـك الدولـة للولـيّ الفقيـه، فهـو الـذي يُقـرر مَـن يعيـش علـى أرضهـا وَمَـن لا يعيـش، ولكـي يعيـش الإيرانـيّ علـى الأرض الإيرانيـة لابـد أن يكـون مؤمنًـا بولايـة الفقيـه، وحسـب يـزدي: «إذا أردت العيـش فـي هـذا البلـد، عليـك القبـول بالدولـة الإسـلامية حتـى لـو اسـتخدمت معـك أسـاليب القـوّة، كلّ مـن يعـارض الدولـة الإسـلامية فهـو مـدان، وينبغـي محاربتـه، حتـى لـو بقـي شـخصٌ واحـدٌ فـي هـذه البـلاد» [5].

فـإذا كان هـذا هـو فكـر النخبـة الدينيـة الحاكمـة تجـاه حرمـة الإنسـان، وحرمـة الدمـاء فـي الداخـل الإيرانـيّ، فمـن البدهـي أنْ يكـون هـو ذات الموقـف وأشـدّ تجـاه دمـاء المتمرديـن علـى مواقـع النفـوذ لولايـة الفقيـه فـي الإقليم.

وبعـد الموجـة الثانيـة مـن الانتفاضـة يـوم 25 أكتوبـر وسـقوط أكثـر مِـن سـتين شـهيدًا، وأكثـر مـن ألفـي مصـاب، قـال المرشـد الإيرانـي، أثنـاء مراسـم تخريـج دفعـة مِـن الضبّـاط فـي الجيـش الإيرانـي أقيمـت فـي جامعـة خـاتم الأنبيـاء للدفـاع الجـوّي، يـوم الأربعـاء 30 أكتوبـر2019م،

---

(1) صـادق حقيقـت، توزيـع السـلطة فـي الفكـر السياسـي الشـيعي، ترجمـة حسـين صافـي، ط1/ مركـز الحضـارة بيـروت 2014م، ص294.

(2) محمـد تقـي مصبـاح اليـزدي: صحيفـة خـرداد، 3/ 9/ 1999م، صحيفـة آفتـاب يـزد 26مايـو2001م، صحيفـة نشـاط 7يونيـو 1999.

(3) صادق حقيقت، توزيع السلطة في الفكر السياسي الشيعي، ص295.

(4) توفيق السيف، حدود الديمقراطية الدينية، ص137.

(5) محمد تقي مصباح اليزدي: صحيفة آفتاب يزد 26مايو 2001م. نقلا عن توزيع السلطة ص305.

مُعلقًا على تظاهرات العراق وَلبنان: «إنّ مطالب النّاس المحقّة إنّما تتحقّق حصرًا ضمن الأطر القانونيّة لبلادهم» [1].

وقال: «إنّ أكبر ضربة يُمكن أن يوجّهها الأعداء إلى أيّ بلد هي أن يسلبوه الأمن، الأمر الذي بدؤوه في بعض بلدان المنطقة. أُوصي الحريصين على العراق ولبنان أنْ يعالجوا أعمال الشّغب وانعدام الأمن الذي تسبّبه في بلادهم أمريكا والكيان الصهيوني وبعض الدول الغربيّة بأموال بعض الدول الرجعيّة» [2].



(1) الموقع الرسمي للمرشد الإيراني على خامنئي: الإمام الخامنئي: تحقّق مطالب النّاس المحقّة في العراق ولبنان متاح ضمن الأطر القانونيّة حصراً، 30 أكتوبر2019م. http://arabic.khamenei.4806/ir/news

(2) المرجع نفسه.

ورغم استعمال المرشد الإيرانيّ لمصطلح «أعمال الشغب» ووجود كلامه على موقعه الرسمي، وفي خطابه المسجل، فإنّه وبعد غضب العراقيين مِن تلك الأوصاف، خرج عضو هيئة رئاسة مجلس خبراء القيادة الشيخ عباس الكعبي، لينفيَ استعمال المرشد الأعلى لهذا المصطلح: «ولمْ يستخدم سماحة القائد في كلمته مفردة (أعمال الشغب) في وصف المظاهرات والاحتجاجات المطلبية السلمية في لبنان والعراق بل صرح بأنّ مطالب الناس حقّة يعني بذلك أن تحسين الوضع المعيشي ومكافحة الفساد والسعي لتحقيق العدل من أهم واجبات الدولة ومن أبرز مصاديق حقوق عامة الناس. وبعد ذلك أشار سماحته إلى أنَّ تحقيق مطالب الناس يتم بالأطر القانونية» [1].

لكنّ كلام المرشد الأعلى كان واضحًا وَصريحًا لا يحتمل اللبس، ولفهم أبعاد كلامه ومقصده ينبغي قراءته من خلال كافة مقولاته ومقولات النخب الإيرانية الدينية والسياسية والعسكرية، المتعلقة بالانتفاضتين العراقية واللبنانية، وليس من خلال التجزئة مِن السياق العام.

2- موقف رئيس السلطة القضائية

قال حجة الإسلام [2] إبراهيم رئيسي -رئيس السلطة القضائية

(1) وكالة أنباء الحوزة، تحليل للشيخ عباس الكعبي: إنّ الإمام الخامنئي لم يصف التظاهرات السلمية والاحتجاجات المطلبية بأعمال الشغب، 3 نوفمبر2019م. https://cutt.us/oHBTl

(2) لا يزال إبراهيم رئيسي في رتبة حجة الإسلام، ولم يصل بعد لمرتبة آية الله، ومع ذلك ومنذ أن تولى السلطة القضائية بات الإعلام الرسمي الإيراني يصفه بـ "آية الله".
وكالة أنباء فارس: آية الله رئيسي: الفتنة الأمريكية السعودية في العراق تستهدف مسيرة الأربعين، 7 تشرين الأول 2019م. http://ksa.pm/o0r
وراجع: مجموعة من الأخبار في إذاعة طهران تصفه بآية الله: http://arabicradio.net/tag/23491

وَأبـرز المرشـحين لخلافـة خامنئـي-، تعليقًـا علـى الموجـة الأولـى للانتفاضـة العراقيـة، إنّ تلـك المظاهـرات فتنـةٌ أمريكية-سـعودية؛ لإحـداث فوضـى ومنـع العراقيـين مِـن المشـاركة فـي الأربعينيـة الحسـينية. ونفـس الـكلام ردده يحـي رحيـم صفـوي المستشـار العسـكري الأعلـى للمرشـد، وعـددٌ مِـن المسـؤولين الإيرانيـين [1].

والحديث عـن مسيرة الأربعـين فـي سـياق الاحتجاجـات هـو بمثابـة تطييـف للمسـألة برمتهـا، وإثـارة للنزعـة المذهبيـة، ومحاولـة تذكيـر المتظاهريـن ذوي الأغلبيـة الشـيعية بمذهبهـم وحواضـن طائفتهـم، والإحسـاس بالخطـر الـذي يتهـدد المذهـب والجماعـة الشـيعية، بسـبب تلـك التظاهـرات!

3- موقف أئمة جمعة طهران

فـي أول جمعة بعـد الموجة الأولـى لانتفاضـة العراقيـين، قـال آيـة اللّه إمامـي كاشـاني، إمـام جمعـة طهـران، فـي صـلاة الجمعـة 4 أكتوبـر 2019م، تعليقًـا علـى التظاهـرات: «إنَّ العـدو يولـي اهتمامًـا بمسـيرة الأربعـين والعـراق ويخلـق المتاعـب؛ لأنّ قضيـة الأربعـين ثقيلـة بالنسـبة لهـم. وَمِـن الثقيـل بالنسـبة للعـدو أنْ يتوجـه أكثـر أو أقـل مـن 20 مليـون شـخص إلـى كربـلاء. إنَّ سـبب هـذه المعارضـة هـو أنَّ رايـة الحسـين هـي الشـهادة والصمـود، وهـذه الرايـة تُوقـظ الأمـم للوقـوف ضـد القمـع. وهـذه الرايـة هـي رايـة: هيهـات منـا الذلـة، وكل الجمـوع التـي تشـارك فـي مسـيرة الأربعـين هـم تجسـيدًا لـ هيهـات منـا الذلـة، والعـدو لا يريـد أن يـرى ذلـك. بعـون اللّه، سـيتم حل القضايا والمشـاكل

(1) العربي الجديد: تظاهرات العراق تُقلق إيران: "فتنة أميركية سعودية" و"مندسّون"، 7 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzh

التـي ظهـرت، وسـوف تشـارك الجمـوع فـي مسـيرة الأربعـين» [1].

وهنـا مفارقـاتٌ مهمـة يجـب أن تُقـرأ فـي هـذه الخطبـة، أهمهـا: أنّ إمـام جمعـة طهـران ربـط بـين تظاهـرات العـراق، والعمالـة للخـارج، وكأنّ الشـعب العراقيّ لا يتحرك مِن أجل أوضاع معيشـيةٍ وَسياسـيةَ، وربـط كذلـك بـين التظاهـرات وبـين مسـيرات الأربعـين، فـي إثـارةٍ واضحـة للنزعـة الطائفيـة والمذهبيـة.

وأبـرز تناقـض فـي خطبـة إمـام جمعـة طهـران حديثـه عـن الشـهادة والصمـود، وشـعار هيهـات منـا الذلـة، في سـياق المظاهـرات العـراقية، وكأنَّ تلك المظاهـرات أولًا لا ينطبـق عليهـا شـعار «هيهـات منّـا الذلـة» وليسـت صمـودًا ولا شـهادةً علـى درب الحسـين، ثـمّ هـي ثانيًـا كأنّهـا فـي هـذا السـياق، ضـد الصمـود ومقاومـة الاسـتكبار، وضـد شـعار «هيهـات منّـا الذلـة». وهـو لا شـكّ اتهـامٌ مباشـرٌ للمتظاهريـن.

هـذا مـا التفـت إليـه الشـيخ ياسـر عـودة فـي لبنـان [2]، عندمـا انتقـد التعامـل العنيـف مـع المتظاهريـن، وألمـح إلـى تناقـض الشـعارات الشـيعية مثـل شـعار «هيهـات منّـا الذلـة» مـع طرائـق التعامـل العنيـف مـع المتظاهريـن الذيـن خرجـوا يطبقـون هـذا الشـعار عمليًـا. ويبـدو أنَّ هـذا الشـعار تسـتعمله النخبـة الدينيـة الإيرانيـة توظيفًـا وَاسـتغلالًا ضـد خصومهـا المذهبيـين والسياسـيين فقـط، أمّـا أنْ يُسـتعمل ضدهـا فهـذا مـا لـم تقبلـه تلـك النخبـة؛ لأنّهـا منصوبـةٌ مِـن اللّٰه، وَفقًـا

(1) وكالـة أنبـاء فـارس: حضـور 20 ميليـون نفـر در راهپيمايـی اربعيـن بـرای دشـمن سـنگين اسـت، لـذا ايجـاد مزاحمـت میکنـد. 12/7 /1398، تاريـخ الاطـلاع: 6 نوفمبـر2019م. https://bit.ly/31PS3lK

(2) الشـيخ ياسـر عـودة، رجـل ديـن لبنانـي، ولـد سـنة 1969م، مـن أشـهر الإصلاحييـن الشـيعة المعاصريـن، تتلمـذ علـى يـد الشـيخ حسـين فضـل الله.
راجـع: ياسـر عـودة ... الشـيخ الـذي أثـار جـدلا واسـعا، تقريـر: يمنـه فـواز، منشـور علـى يوتيـوب بتاريـخ: 29 أكتوبر2015م. https://www.youtube.com/watch?v=F8B9BryjCts

لمقتضيات ولاية الفقيه، بقراءتها الخمينية!

واعتبر كاشاني أنّ الحياة الحقيقية هي حياة الشهداء في طريق اللّه: «أولئك الذين يواصلون طريق الشهداء ويتصدون للمشاكل والأعداء ولديهم حياة حقيقية» [1]، وكأنّ الثائرين العراقيين أيضًا لا تنطبق عليهم تلك الحياة! وهذا على ما فيه مِن تناقض، إلّا أنّه مُعبّر عن عقيدة النخبة الدينية الإيرانية، التي تحتكر الدين والمذهب والثورة، فهي وحدها مَن تُقرر: أيُّ نظام يُمكن الثورة عليه، وأيّ نظام لا يُمكن الخروج عليه، لأنّها تتحدَّث نيابةً عن المعصوم، وهو ترَسيخٌ لمبدأ معصومية نائب المعصوم، وإنْ لمْ يُصرَّح به فقهيًا.

وفي يوم الجمعة 11 أكتوبر2019م، خطب إمام الجمعة المؤقت في طهران أحمد خاتمي، خلال خطبة يوم الجمعة، قائلا: «إنَّ أعداء الشعب الإيراني قد ركبوا على موجة الاحتجاجات في العراق. وقد سعى أعداء الشعب الإيراني مِن وراء هذه الاحتجاجات إلى تحقيق أربعة أهداف: **أولها**: التعتيم على المسيرة الأربعينية حيث أرادوا بثّ الخوف والرعب في قلوب الشعب حتى لا يذهبوا إلى هذه المسيرة، ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك. **والثاني**: بثّ الفرقة بين الشعبين الإيراني-العراقي. **والهدف الثالث هو**: استهداف محور المقاومة، ويرجع **الهدف الرابع** إلى الانتقام مِن بعض المسؤولين العراقيين الذين صمدوا في مواجهة المطالب غير المشروعة للكيان الصهيوني وأمريكا» [2].

---

(1) المرجع نفسه.

(2) تسنيم، آيت‌الله خاتمی: راهپیمایی اربعین جهان اسلام را معطر کرده است، 11 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nmm

وأرجـع خاتمـي تلـك التظاهـرات إلـى ثلاثـة أضـلاع: الضلـع الأول فـي نظـره يتمثـل فـي: أمريـكا وبريطانيـا وإسـرائيل، وقـال إنّ الكيـان الصهيونـي يلقـب المتظاهريـن العراقيـين بالثوريـين العراقيـين، وهـذا كفيـلٌ فـي نظـره لتشـويه المتظاهريـن، وإلغـاء مطالبهـم!

أمـا الضلـع الثانـي يتمثـل فـي بعـض الـدول العربيـة، وَوفقًـا لكلامـه فـإنّ تلـك الاحتجاجـات مـن قبيـل الفوضـى التـي تقـف وراءهـا بعـض الـدول العربيـة الرجعيـة؛ لأنّ هـذه الـدول تريـد نشـر الاضطرابـات والفوضـى فـي العالـم! وجعلَ مِـن فلـول البعثيـين الضلـع الثالـث الـذي يثيـر الفوضـى بالعـراق [1].

وبعـد الموجـة الثانيـة لانتفاضـة العراقيـين (25 أكتوبـر2019م)، خطـب آيـة اللّه موحـدي كرمانـي فـي خطبـة الجمعـة فـي طهـران[2]، الأول مـن نوفمبـر، ليقـول معلقًـا: «إنّ النّقطـة الّتـي ينبغـي أن أبيّنهـا فـي احتجاجـات العـراق هـي نفـوذ بعـض المجاميـع المنحرفـة والتـي نصطلـح عليهـا بشيعة الإنجليـز أيضًـا، خصوصًـا وقـد ارتكبـوا جرائـم فـي كربـلاء والبصـرة وتحديـدًا العمـارة، ويجـب علـى الشّـعب العراقـيّ أنْ يعـزل صفوفـه عنهـم» [3].

وهـي محـاولاتٌ حثيثـة لتطييـف الصراع مرةً ثانيـة، باتهام الشـيرازيين

---

(1) المرجع نفسه.

(2) هـو رجـل ديـن وسياسـي إيرانـيّ، ولـد سـنة 1931م، عُيـن إمـام جمعـة مؤقـت فـي طهـران، ومـن المناصـب التـي تولاهـا: الأميـن العـام لجمعيـة علمـاء الديـن المجاهديـن، وعضـو مجلـس الخبـراء، وعضـو مجمـع تشـخيص مصلحـة النظـام، وعُيّـن رئيسًـا مؤقتًـا لـه بعـد وفـاة رفسـنجاني. راجـع: المعهـد الدولـي للدراسـات الإيرانيـة «رصانـة»: كرمانـي علـي عـرش رفسـنجاني فـي مجمـع التشـخيص، 3 فبرايـر2019م. http://ksa.pm/nta

(3) خطبـة الجمعـة فـي طهـران، المؤرّخـة: 1 تشـرين الثّانـي، 2019م. نـص الخطبـة بالفارسـية، وترجمتهـا بالعربيـة بواسـطة الشـيخ ميثـاق العسـر –رجـل ديـن عراقـيّ إصلاحي-علـى صفحتـه الرسـمية بموقـع الفيـس بـوك. http://ksa.pm/nzo

بأنهم يقفون خلف تلك الانتفاضة، ولم يُشِر مجرد الإشارة لآلاف الشهداء والمصابين مِن جانب المتظاهرين!

وقد ختم موحدي كرماني خطبته بالدعاء: «سائلًا المولى عز وجل بأنْ تخمد نار هذه الفتن سريعًا وأنْ يذوق الشعبان اللبناني والعراقي طعم الوحدة على وجه السرعة» [1]. ونلحظُ هنا استعمال مصطلح «الفتنة»، مِن النخب الدينية الإيرانية لوصف كل ما يُهدد مصالحها، في حين يستعملون مصطلح الثورة والانتفاضة لوصف التحركات التي تخدم أهدافهم الإستراتيجية.

ويُمكن تلخيص الجامع المشترك في خطب الجمعة بطهران طيلة شهريّ أكتوبر ونوفمبر تجاه المظاهرات العراقية واللبنانية، بأنّها:

- يقف وراءها الغرب وأمريكا ودولٌ عربية.
- فوضى وفتنة هدفها تقسيم الشعوب.
- يؤجّجها فلول البعث.
- تستهدفُ محور المقاومة.
- يؤجّجها شيعة الإنجليز.

وأخيراً فإنّ موقف رجال الدين لا يختلف كثيرًا عن موقف الدبلوماسية الإيرانية، التي تبنته وزارة الخارجية في بيانات رسمية [2]، وكذلك مع تصريحات المسؤولين الأمنيين، فوَفقًا لأحدً

(1) وكالة تسنيم، خطيب جمعة طهران: بعض الجماعات المنحرفة تغلغلت بين صفوف الشعب العراقي، 1 نوفمبر2019م.
http://ksa.pm/nml

(2) وكالة تسنيم للأنباء: الخارجية الإيرانية تعرب عن أسفها العميق للأحداث الأخيرة في العراق، 26 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/o0s

قادة الوحدات الخاصة بالشرطة الإيرانية فإنّ تلك التظاهرات تستهدف إضعاف جبهة المقاومة في المنطقة، التي هي أعظم إنجاز للجمهورية الإسلامية [1].

ثانيًا: طرق تعامل الإيرانيين مع الانتفاضتين

بعد كلام خامنئي والنخب الدينية وَالسياسية، السلبيّ، إزاء تظاهرات العراق، دخل الحرس الثوري على الخطّ، فَوفقًا لتقرير لرويترز فإنّ ضباطًا كبارًا في الحرس الثوري ذوي خبرة في احتواءٍ الاضطرابات المدنية، اجتمعوا أثناء الاحتجاجات بمسؤولين أمنيين عراقيين، وحذر المستشارون الإيرانيون مِن تقويض المظاهرات للحكومة في حال استمراريتها [2]. ولذا كانت هناك نيّةٌ مبيتةٌ لقتل المتظاهرين، وهو ما صرّح به حيدر العبادي، رئيس الوزراء العراقيّ السابق، وهو لا شكّ مِن المصادر المطلعة على ما يدور في دولاب الدولة العراقية [3].

ويبدو أنّ الخبراء الإيرانيين أدلوا بتوصياتهم مبكرًا مِن أول يومٍ

(1) أمد للإعلام: رغم الغضب الشعبي من التدخل.. مسؤول إيراني: "الاضطرابات في العراق ولبنان تستهدف اضعاف جبهة المقاومة"، 4/ 11/ 2019م. http://ksa.pm/nzq

(2) رويترز: حصري-فصائل تدعمها إيران نشرت قناصة في احتجاجات العراق، 17 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzr

(3) قال حيدر العبادي: "إنّ العدد الرسمي للشهداء في انتفاضة مطلع تشرين الذي أعلن عنه والذي ورد في تقرير اللجنة الوزارية للتحقيق 149 شهيد، ولكن عدد المتظاهرين السلميين الذين أصيبوا إصابات مميتة ولكنهم لم يموتوا أكثر من 400 متظاهر. بمعنى أنّ إطلاق النار كان بقصد القتل وليس لدفع المتظاهرين إلى التفرق والهرب". راجع: في متناول اليد حيدر العبادي، تلفزيون الشرقية، حلقة منشورة على يوتيوب بتاريخ 22 أكتوبر2019م. https://www.youtube.com/watch?v=S2mU6tcC3G4

وبي بي سي: بلا قيود مع رئيس الوزراء العراقي السابق حيدر العبادي، حلقة منشورة على يوتيوب بتاريخ 20 أكتوبر2019م. https://www.youtube.com/watch?v=pBcY7pOdkqk

لانتفاضة العراقيين، فتمّ التعامل مع المظاهرات والمتظاهرين بعدة وسائل استُعملت مِن قبل في احتجاجات ديسمبر2017م في إيران، أهما:

1- القنص والقتل المباشر

حيث بلغ عدد القتلى في موجة التظاهرات الأولى في العراق أول أكتوبر، أكثر من مئة شهيد مِن المتظاهرين، وما يقرب من أربعة آلاف جريح، بعضهم في حالة خطرة جدًا [1]. وفي الموجة الثانية للتظاهرات العراقية التي انطلقت يوم 25 أكتوبر قُتل أكثر مِن 60 متظاهرًا، وأُصيب أكثر من ألفي شخص [2]. علاوةً على مقتل وإصابة العشرات في موجاتٍ جزئيةٍ بين الموجتين، وبعد الموجة الثانية، في كربلاء والنجف وبغداد ومدن الوسط [3].

وقد نفت الحكومة العراقية رسميًا تعرض قواتها الأمنية لأيٍّ مِن المحتجين بالرصاص الحيّ، ونوّهت إلى أنها ستفتح تحقيقًا موسعًا حول مقتل المتظاهرين، مما يؤكد صحّة تقرير رويترز أنّ القناصة الذين شاركوا في قتل المتظاهرين مِن الميليشيات المنضوية تحت مظلة ولاية الفقيه وليست مِن القوات الأمنية النظامية [4]، خاصة

(1) DW: العراق: آخر حصيلة لضحايا التظاهرات بلغت 100 قتيل وأربعة آلاف جريح، 5 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nzs

(2) DW: 63 قتيلا وآلاف الجرحى حصيلة احتجاجات العراق خلال يومين، 26 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzt

(3) منظمة العفو الدولية، العراق: هجمات مميتة للقناصة وترهيب المحتجين وحملة قمع مكثفة ضدهم، 9 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/noz

(4) سكاي نيوز: الحكومة العراقية تنفي قتل المتظاهرين.. وتتحدث عن طرف ثالث، 26 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nzu

في مجزرة الموجة الأولى للانتفاضة.

2- منع الإنترنت وحظر التجوال

حيث قامت الحكومة العراقية بمنع الإنترنت في البلاد وحظر التجوال يوم الخميس 3 أكتوبر2019م، خوفًا مِن مظاهرات الجمعة 4 أكتوبر [1]. لكنّ آلاف المتظاهرين كسروا حظر التجوال ونزلوا إلى ميادين التظاهر، مما أفشل القرار الحكومي في نهاية المطاف [2]، وتكررت إجراءات حظر التجوال طيلة أيام الانتفاضة، وتكرر فشل منع المتظاهرين مِن التظاهر. فلم تُجْد نفعًا أيٌّ مِن تلك الوسائل لمنع الثائرين مِن ميادين المظاهرات في كافة المدن العراقية تقريبًا، واستمرّ دويّها دون توقف.

3- حمامات الدم

تحولت ميادين التظاهر في العراق إلى حمامات دم حسب تقارير منظمة العفو الدولية، فقد تم ترهيب المتظاهرين وتهديدهم وعوائلهم جسديًا وَنفسيًا مِن الملاحقة، وَالاعتقال، وَالطرد مِن الوظائف العامة، والاختطاف، وغير ذلك مِن أعمالٍ خارج نطاق القوانين [3].

(1) DW: العراق: المحتجون يتحدون حظر التجول وعدد القتلى في ارتفاع، 3 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzv

وبي بي سي: مظاهرات العراق: السلطات تحجب الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وانتشار وسم #العراق_ينتفض، 3 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzw

(2) بي بي سي: مظاهرات العراق: آلاف يكسرون حظر التجول في العاصمة بغداد، وقتلى ومئات الجرحى في مصادمات في كربلاء، 29 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nzx

(3) منظمة العفو الدولية: العراق: وقوع مجموعة من الإصابات الشنيعة المميتة بسبب اختراق قنابل غاز جديدة مسيلة للدموع جماجم المحتجين، 31 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/noy

4- وبخصوص الانتفاضة اللبنانية

فإنّ ثمة ميليشيات تابعة لحزب اللّه نزلت واعتدت على المتظاهرين في الساحات، علاوةً على التخوين وتهم التآمر والعمالة التي لاحقت المتظاهرين من إعلام حزب اللّه وموالين له [1].

وهذا التعامل مع انتفاضتي العراق ولبنان، خاصة الانتفاضة العراقية، مِن قبل الميليشيات والمستشارين العسكريين التابعين لإيران، حسب رويترز، يتوافق تمام الاتفاق مع الطرح الديني والأيديولوجي للنخبة الدينية الحاكمة في إيران، ورؤيتها في منصوبية الوليّ الفقيه، وصورية الانتخابات والسيادة الشعبية، وهو ما نقلناه آنفًا مِن كلام مصباح يزدي وغيره، مما انسحب على التعامل العنيف مع المتظاهرين رغم انتمائهم للمذهب الشيعي.

ثالثًا: موقف المرجعية الدينية في النجف

اختلف موقف النجف عن موقف طهران، واتخذ شكلًا تصاعديًا مع مرور الأحداث. ولكن مِن الملاحظ أنّ أشدّ بيانٍ للنجف جاء بعد اتهام المتظاهرين بالعمالة مِن قبل المرشد الإيراني علي خامنئي، فقال آية اللّه السيستاني -فيما اعتُبر ردًّا على التدخل الإيرانيّ-: «لا يحق لأي جهة أو طرف إقليمي أو دولي مصادرة

(1) عربي21: أنصار حزب الله و "أمل" يعتدون على متظاهرين ببيروت (شاهد)، 29 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/np6

والحرة: "زعران" حزب الله يعتدون على المتظاهرين جنوبي لبنان، 23 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/np7

وأورينت نيوز: بالسكاكين والعصي.. عناصر من "حزب الله" يعتدون على المتظاهرين اللبنانيين (فيديو)، 29 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/np8

إرادة العراقيين» [1]، في إشارةٍ إلى اتهام خامنئي للمتظاهرين بالعمالة للخارج، وإثارة الشغبً، وأنّ المطالب تنحصر في الطرق القانونية فقط.

وفي نفس ذلك اليوم الذي قالت فيه المرجعية العليا –السيستاني- هذا الكلام، وحذرت من تدخلات خارجية تصادر إرادة العراقيين، قال خطيب جمعة طهران بأنّ العراق يتعرض لمؤامرة!

وإذا ما تأملنا تسلسل الأحداث سنجد أنّ موقف المرجعية العليا في النجف ثابتٌ وواضحٌ تجاه تأييد المظاهرات، بيد أنّها في نفس الوقت ليست مؤسَّسةً صلبة، ولا يمكن أنْ تدخل في اشتباكٍ مفتوح مع الإيرانيين غير محمود العواقب بالنسبة لها، وكذلك معَ الميليشّيات العسكرية على الأرض.

ففي يوم الجمعة الموافق 4 أكتوبر بعد أحداث الموجة الأولى للانتفاضة، قالت المرجعية العليا في خطبة الجمعة: «يجب تدارك الأمور قبل فوات الأوان». وبخصوص العنف قالت: «إنَّ هناك اعتداءات مرفوضة ومدانة على المتظاهرين السلميين وعلى القوات الأمنية. وعلى الحكومة أنْ تغير نهجها في التعامل مع مشاكل البلد. على الحكومة النهوض بواجباتها وأن تقوم بما في وسعها لتحسين الخدمات العامة وتوفير فرص العمل للعاطلين عن العمل والابتعاد عن المحسوبيات في الوظائف العامة واستكمال ملفات

(1) شفقنا، سماحة السيد السيستاني "دام ظله": لا يحق لأي جهة أو طرف إقليمي أو دولي مصادرة إرادة العراقيين، 1 نوفمبر2019م. http://ksa.pm/nmn

المتهمين بالتلاعب بالأموال العامة وسوقهم إلى العدالة» [1].

وفي يوم الجمعة 11 أكتوبر، قال الشيخ عبد المهدي الكربلائي، ممثل آية الله السيد علي السيستاني خلال خطبة صلاة الجمعة في كربلاء إنَّ «الحكومة وأجهزتها الأمنية مسؤولةٌ عن الدماء الغزيرة التي أريقت في مظاهرات الأيام الماضية»، محددًا مهلة أسبوعين للسلطات كي تعلن نتائج تحقيقاتها [2].

وفي خطبة الجمعة 25 أكتوبر وهو يوم نشوب الموجة الثانية للانتفاضة، قالت المرجعية في خطبة الجمعة: «إنَّ الإصلاح الحقيقي، والتغيير المنشود لإدارة البلاد ينبغي أنْ يكون بالطرق السلمية. وينبغي مكافحة الفساد، وإلغاء امتيازات كبار المسؤولين. إنّ تقرير لجنة التحقيق بشأن التظاهرات السابقة لم يحقق الهدف المرتقب منه، ولم يكشف عن الحقائق، وَمِن هذا المنطلق نطالب بتشكيل هيئةٍ قضائيةٍ مستقلة، لمتابعة أحداث التظاهر، وحصر السلاح بيد الدولة، وسنّ قانونٍ انتخابيّ جديد. وينبغي التصدي للتدخلات الخارجية في شؤون البلادً، بقوة» [3].

(1) مونت كارلو الدولية: العراق: المرجعية الدينية الشيعية العليا تدعو الحكومة لتغيير نهجها في التعامل مع مشاكل البلد، 4 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nng

وشفقنا: موقف سماحة السيد السيستاني (دام ظله) من الأحداث الجارية في العراق، 4 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nnh

(2) السيستاني: الحكومة "مسؤولة عن الدماء الغزيرة" في احتجاجات العراق، 11 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nni

وراجع موقع السيستاني على هذا الرابط: https://www.sistani.org/arabic/archive/26350/

(3) إيليفنت نيوز: بعد مقتل اثنين من المتظاهرين السيستاني يدعو قوات الأمن العراقية بضبط النفس، 25 أكتوبر2019م.
http://ksa.pm/nnl

وراجع خطبة السيستاني على موقعه الرسمي: https://www.sistani.org/arabic/archive/26351/

ورغم أنّ المرجعية طالبت في هذه الخطبة بالتصدي للتدخلات الخارجية بقوة، إلّا أنّ المرشد الإيراني تكلم في الشأن العراقي في خطابٍ له يوم الأربعاء 30 أكتوبر، وحسب موقعه الرسمي فقد «أوصى الحريصين على البلدين بأن يعالجوا أعمال الشغب المدارة مِن قبل أمريكا والكيان الصهيوني» [1].

وفي خطبة الجمعة الأول مِن نوفمبر أكدت المرجعية العليا نصيحتها للدولة بعدم استعمال العنف ضد المتظاهرين، وعدم الزجّ بالقوات الأمنية في مواجهة الشباب، ونددت باطنيًا بالتدخل الإيرانيّ، خاصة تصريحات المرشد الأعلى الذي وصف فيها أحداث العراق بأعمال الشغب، فقالت المرجعية: «إنَّ المرجعية الدينية تجدد التأكيد على موقفها المعروف مِن إدانة التعرض للمتظاهرين السلميين وكل أنواع العنف غير المبرر، وضرورة محاسبة القائمين بذلك، وتُشدّد على الجهات المعنية بعدم الزجّ بالقوات القتالية بأيّ من عناوينها في التعامل مع الاعتصامات والتظاهرات السلمية، خشية الانجرار إلى مزيد مِن العنف. إنَّ احترام إرادة العراقيين في تحديد النظام السياسيّ وَالإداريّ لبلدهم مِن خلال إجراء الاستفتاء العام على الدستور والانتخابات الدورية لمجلس النواب هو المبدأ الذي التزمت به المرجعية الدينية وأكدت عليه منذ تغيير النظام السابق، واليوم تؤكد على أنّ الإصلاح وإنّ كان ضرورةً حتمية ـ كما جرى الحديث عنه أكثر مِن مرة ـ إلا أنَّ ما يلزم مِن الإصلاح ويتعين إجراؤه بهذا الصدد موكولٌ أيضًا إلى

(1) موقع خامنئي: الإمام الخامنئي في مراسم تخريج دفعة مِن طلاب جامعات الضباط للجيش: تحقّق مطالب النّاس المحقّة في العراق ولبنان متاح ضمن الأُطر القانونيّة حصرًا. http://ksa.pm/np9

اختيـار الشـعب العراقـي بـكل أطيافـه وألوانـه مِـن أقصـى البلـد إلـى أقصـاه، وليـس لأيّ شـخص أو مجموعـةٍ أو جهـةٍ بتوجـه معـين أو أيّ طـرفٍ إقليمـي أو دولـي أنّ يصـادر إرادةً العراقيـيّن فـي ذلـك ويفـرض رأيـه ً عليهـم» [1].

ولـم يختلـف موقـف المراجـع الآخريـن عـن موقـف السيسـتاني، إذ قـال ممثـل آيـة اللّه النجفـي: «موقفنـا تجـاه المظاهـرات فـي العـراق والحكومـة العراقيـة والتحديـات التـي تواجـه العـراق هـو نفسـه مـا تم عرضـه عبـر خطـب الجمعـة المقامـة فـي العتبـة الحسـينية. إنَّ النجـف الأشـرف لطالمـا شـخصت الأخطـاء فـي الدولـة العراقيـة ولفتـت انتبـاه المسـؤولين فيهـا إلـى هـذه الأخطـاء وضـرورة إيجـاد الحلـول المناسـبة لهـا، ولابـد مـن إيجـاد الحلـول الصحيحـة والمناسـبة لهـذه المشـاكل وتأمـين الحيـاة الكريمـة للمواطـن العراقـي» [2].

وفــي بيــانٍ للمرجعيــة الدينيــة يــوم الســبت 9 نوفمبــر2019م، نفـت فيـه مـا تـردد فـي وسـائلَ إعلاميَّـة عـن اتفـاقٍ بـين المرجعيـة والقـوى السياسـيَّة لإبقـاء حكومـة عبـد المهـدي، وإنهـاءً الاحتجاجـات الجاريـة، وأكّـد البيـان أنَّ موقـف المرجعيـة الدينيـة تجـاه الاحتجاجـات الشـعبية والتعامـل معهـا والاسـتجابة لمطالـب المحتجـين هـو مـا أعلنـت عنـه بوضـوح فـي خطـب الجمعـة، وقـد أبلغتـه لجميـع مَـن اتصلـوا بهـا بهـذا الشـأن. وكل مـا يُنسـب إليهـا خـلاف ذلـك فهـو لغـرض الاسـتغلال السياسـيّ مِـن قبـل بعـض الجهـات والأطـراف ولا أسـاس لـه مِـن

(1) شـفقنا: سـماحة السـيد السيسـتاني ’’دام ظلـه‘‘: عـدم زج القـوات القتاليـة فـي مواجهـة التظاهـرات السـلمية، وليس لأي جهـة أو طـرف إقليمـي أو دولـي مصـادرة إرادة العراقييـن، 1 نوفمبـر2019م. http://ksa.pm/nnj

(2) وكالـة أنبـاء الحـوزة، ممثـل آيـة الله النجفـي: موقفنـا تجـاه المظاهـرات العراقيـة يطابـق لمـا عـرض عبـر خطـب الجمعـة فـي الصحـن الحسـيني، 26 أكتوبـر2019م.

الصحّة [1].

وصدر بيان للمرجعية يوم الاثنين 11 نوفمبر2019م، بعد استقبال آية اللّه السيستاني للسيدة جينين هينيس بلاسخارت رئيسة بعثة الأمم المتحدة في العراق (يونامي)، جاء فيه تأكيد المرجعية على حقّ الناس في التظاهر، وأنّ المتظاهرين لن يرجعوا إلى بيوتهم حتى تتحقق مطالبهم الحقّة، ومنِّع التدخل الخارجي، وقال آية اللّه السيستاني: «إنه لا يمكن أنْ يستمر الحال على ما كان عليه قبل الاحتجاجات الأخيرة» [2].

ونلاحظ أنّ المرجعية كررت التأكيد على رفض التدخل الخارجي، وعلى حقّ الناس في التظاهر السلمي، وذلك لأنَّ المرجعية استشعرت الحرج مِن الناس والمحتجين، إذ إنَّ أعداد القتلى والمصابين كبيرةٌ جدًا، مما وضع المرجعية في مواجهة المتظاهرين الذين طالبوا بفتوى مِن المرجعية تحميهم مِن بطش القوات الأمنية، والميليشيات الموالية لإيران.

وتتمثل أهمّ النقاط التي ركّزت عليها المرجعية العليا في كافة خطب الجمعة وبياناتها، في النقاط التالية:

1- منع تدخل الأطراف الخارجية في الشأن العراقيّ.
2- تشكيل لجانٍ قضائيةٍ مستقلةٍ للتحقيق ومتابعة سير

(1) شفقنا، تصريح لمصدر مسؤول في مكتب سماحة السيد (دام ظلّه) حول بعض ما نُشر في وسائل الإعلام، 9 نوفمبر2019م.
http://ksa.pm/nnk

(2) موقع آية الله السيستاني، استقبال سماحة السيد (دام ظله) لرئيسة بعثة الأمم المتحدة في العراق، 11 نوفمبر2019م.
http://ksa.pm/nte

المظاهـرات.

3- نبذ العنف تجاه المتظاهرين، والعكس.

4- حصر السلاح بيد الدولة العراقية.

5- عدم الزج بالقوات الأمنية في وجه المتظاهرين.

6- ينبغي تلبية مطالب المحتجين المشروعة.

فـي حـين لـم نجـد فـي خطـاب المرجعيـة، أيّـة مفـردات متعلقـة بالتآمر والعمالـة، وأحـداث الشـغب، والتشـيع البريطانـي، والأيـادي الصهيـو-أمريكيـة، علـى نحـو مـا جـاء فـي خطـب وبيانـات النخـب الدينيـة الإيرانيـة.

ولكـن لا يُتوقـع أنْ يمتّـد موقـف المرجعيـة العليـا فـي النجـف لمـا هـو أبعـد مِـن التنديـد وإصـدار البيانـات، كمـا حـدث فـي أحـداث سـابقة، كمظاهـرات البصـرة التـي جوبهـت بالرصـاص الحـيّ [1]، وغيرهـا مِـن تظاهـرات التزمـت فيهـا المرجعيـة بالبيانـات والتنديـد فقـط؛ ذلـك أنّ المرجعيـة الدينيـة فـي العـراق ذات سـلطة روحيـة علـى الساسـة والسياسـة، ولا ولايـة لهـا علـى الشـأن العام بالمفهوم الولائي الإيراني، وليسـت كذلـك مؤسَّسـةً مِـن مؤسَّسـات الدولـة الصلبـة التـي يمكـن أنْ تتحـدى بعـض الميليشـيات المسـلحة التابعـة لإيـران، ولـذا تدعـو المرجعيـة دومًـا لحصـر السـلاح بيـد الدولـة. بالإضافـة إلـى تشـابك بعـض المصالـح والنفـوذ لرجـال الديـن، بمـا يُهـدد شـبكات المصالـح الاقتصاديـة والسياسـيّة برمتهـا إذا حدثـت تغييـرات جوهريـة فـي صلـب الدسـتور العراقـيّ وأنمـاط العلاقـة بـين الفقهـاء والساسـة المُشـكّلة منـذ 2003م وحتـى اليـوم!

(1) الإمـام الحسـين، المرجعيـة العليـا تعلـن عـن قلقهـا البالـغ إزاء الأوضـاع فـي البصـرة وترفـض إطـلاق الرصـاص علـى المواطنيـن، 7 سـبتمبر2018م. http://ksa.pm/nnp

وفـي هـذا السـياق جـاء قـرار الحكومـة الإيرانيّـة بإيقـاف الرحـلات الدينيـة إلـى المـزارات الدينيـة الشـيعية فـي العـراق وكأنـه تأديبًـا للنجـف علـى موقفهـا المسـاند للمتظاهريـن.

فقـد نقـل التلفزيـون الإيرانـي الإيرانـي عـن مصـدر فـي بعثـة المرشـد الإيرانـي علـي خامنئـي أنَّ «الأمـن غيـر متوفـر فـي الوقـت الراهـن لحضـور الـزوار الإيرانييـن» [1]، فربمـا يكـون هـذا جـزءٌ مِـن رسـالة للمرجعيـة العليـا بـأنَّ اسـتمرار التظاهـرات يعنـي ضعفًـا فـي واردات المـزارات الدينيـة فـي النجـف وكربـلاء، وَمِـن ثـمّ تأثـر الوضـع الاقتصـادي للمرجعيـات الدينيـة العراقيـة، حيـث إنّ المـوارد الماليـة للمـزارات الشـيعية فـي النجـف وكربـلاء تعتمـد فـي الأسـاس علـى كثافـة السـياح الإيرانيـين. وحـدث مثـل هـذا تاريخيًـا، فعندمـا وصـل رضـا خـان (1878- 1944م) إلـى السـلطة فـي إيـران سـنة 1925م، منـعَ الـزوّار الإيرانيـين مِـن زيـارة النجـف وكربـلاء، وأوقـف الدعـم المالـي لحـوزة النجـف، وهـو مـا سـبب معانـاةً كبيـرةً لعلمـاء الديـن وكيفيـة توفيـر المـوارد الماليـة، للإنفـاق علـى المـدارس الحوزويـة والطـلاب، والمشـروعات القائمـة التابعـة للمرجعيـة. ووضـع الشـاه شـروطًا للموافقـة علـى إعـادة إرسـال الأمـوال، منهـا معرفـة الأشـخاص الذيـن تُنفق عليهـم تلـك الأمـوال، وقـد اشـتكى المرجـع الأصفهانـي، والميـرزا النائينـي عـدم وصـول الأمـوال والحقـوق الشـرعية مـن إيـران، وأنَّ مـا يصلهـم فقـط مِـن أفغانسـتان وزنجبـار، فحصـل إربـاكٌ واضـحٌ فـي الوضـع المالـي تسـبّب بمـرور الوقـت فـي هجـرة عـددٍ مِـن طـلاب الحـوزة، وانخفـضَ عـدد الدارسـين بشـكل ملحـوظ. وعندمـا زار

(1) الجزيـرة نـت، بسـبب الاحتجاجـات.. إيـران توقـف الرحـلات الدينيـة إلـى العـراق، 3 نوفمبـر2019م.
http://ksa.pm/npl

ناصر الدين شاه (1831-1896م) النجف، رفض الميرزا الشيرازيّ الاجتماع به، في حين أنَّ باقي فقهاء النجف رحبوا به، وتوترت علاقتهم بالشيرازي بسبب موقفه المتعنّت مِن الشاه، خشية من العواقب الاقتصادية المحتملة لموقف الشيرازي [1].

وبعبارة أحد المفكرين الشيعة: «فاقتصاديات النجف وصورتها كمركز في العراق وإيران، وتميزها عن باقي المدن في ظل السلطة العثمانية كانت إلى حد كبيرٍ ثمرةً مِن ثمار مثل هذه الزيارة التي يقوم بها زعماء وأشخاصٍ بارزون، وتكفي قراءة سريعة لتاريخ المدن المقدسة لاكتشاف أنّ المشروعات العمرانية المهمة التي جرت فيها كانت ثمرةً لزيارات زعماء من هذا النوع، ولا سيَّما من ملوك وأمراء إيران» [2].

وعلى كلّ حال فإنّ القرار الإيرانيّ بمنع الزوار الإيرانيين مِن السفر إلى المزارات الشيعية في العراق يحمل رسالةً إلى المرجعية العليا في النجف، وإلى الأعيان والتجار والمسؤولين في النجف وكربلاء، وكذلك فيه إقرارٌ ضمنيٌّ بالتظاهرات وفاعليتها، وزيادة رقعتها، وفيه كذلك إقرارٌ بأنّ الوجود والنفوذ الإيرانيّ مستهدفٌ حتى في قلب العواصم الشيعية.

رابعًا: رجال دينٍ مستقلون وَإصلاحيون

هناك عددٌ كبيرٌ مِن رجال الدين غير التابعين لمرجعية النجف،

---

(1) راجع: محمد السلمي، ومحمد الصياد: الفقيه والدين والسلطة، ط/ مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية2017م، ص21- 22.

(2) توفيق السيف، ضد الاستبداد.. الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة، ط/ المركز الثقافي العربي 1999م، ص17.

ولا المحسوبين كليًا على الدولة الإيرانية، ساندوا التظاهرات، وبعضهم شارك فيها.

فرجل الدين اللبناني الشيخ **ياسر عودة** –أحد رجال الدين الإصلاحيين وَمِن تلامذة حسين فضل الله، أعلن تضامنه مِن أول يوم مع التظاهرات اللبنانية والعراقية، وشارك بنفسه في انتفاضة اللبنانيين يوم 17 أكتوبر 2019م [1].

وفي الانتفاضة الأولى للعراقيين 1 أكتوبر 2019م، قال الشيخ ياسر عودة: «هل حكومة الحسين تنهب؟ هل حكومة الحسين سارقة؟ حكومة الحسين تقتل الناس بدم بارد؟» [2]، في إشارةٍ إلى الفساد المستشري في الحكومة العراقية.

وبعدما تعرض عددٌ مِن المتظاهرين للمضايقات والعنف في لبنان قال عودة: «سلامٌ لكلِّ الشباب المنتفض، فهم أحرار لبنان. أقول لهم: استمروا مهما كان الضغط كبيرًا، والتهديد عظيمًا، على الأقل كي لا يلعنكم أبناؤكم، كما فعل أبناؤنا لأننا كنا أزلامًا للزعماء في طوائفنا. إنني أقف مع الشباب حتى لو كانوا علمانيين، مسيحيين، دروز، علويين، سنّة، ومهما كانوا سأبقى معهم؛ لأنّ الحقّ هو أنْ يأخذ الإنسان حقّه حتى ولو كان كافرًا، هكذا تعلمنا من الإمام عليّ» [3].

(1) راجع: رسالة إلى ثوار لبنان، منشور على يوتيوب بتاريخ 21 أكتوبر 2019م. https://www.youtube.com/watch?v=Zl1vJwZR6j0

(2) راجع: الصفحة الرسمية للشيخ ياسر عودة على الفيس بوك، فيديو بتاريخ: 17 أكتوبر 2019م. http://ksa.pm/nti

(3) جنوبية: بالفيديو الشيخ عودة رافضًا التخوين: سلامٌ على المحتجين، 10 نوفمبر 2019م. http://ksa.pm/ntc

وردّ الشيخ ياسر عودة على أحد فقهاء ولاية الفقيه الذين حرموا «دفن شهداء الانتفاضة المقتولين برصاص قوات الأمن، في مقابر المسلمين لأنهم مرتدين على الدولة الإسلامية» [1]، والدولة الإسلامية المرادة –وَفقًا للولائيين-هي إيران، واستنكر عملية التشويه الأخلاقي، والتسقيط الديني الذي يتعرض له المنتفضون، قائلا: «أنا عميلٌ للفقراء، أنا عميلٌ للمستضعفين» [2].

وأعلن المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي زعيم حزب الفضيلة، دعمه للتظاهرات، وقال في بيانٍ له: «أعتقد أنَّ مِن أغلى الثمرات التي حققتها نهضة الشباب الواعي الغيور في انتفاضة التحرير هي استعادة الهُويَّة الوطنيَّة التي سلبها الطائفيون والفاسدون والعملاء حتى أفقدونا الأمل بإحيائها وأجبروا الكثير مِن أبناء الوطن على الهجرة منه تاركين أهلهم وذكرياتهم وعيونهم شاخصة إلى من خلفهم». ورفض العنف ضد المتظاهرين فقال: «أما الإصرار على سياسة القمع واستعمال العنف فإنه لا يجدي نفعًا بل يجرّ البلاد والعباد إلى الهاوية، وإنكم لا تستطيعون هزيمة شباب يُقدِمون على الموت ويتلقون الرصاص بصدور عارية» [3]. واليعقوبي وإنْ كان محسوبًا على نخبة الحكم العراقية إلّا أنّ بيانه يؤكد أنّ المتظاهرين أجبروا الداخل العراقي الدينيّ برمته على أنْ يعلن دعمهم، مما يؤكد أنّ التظاهرات محلّ إجماع وطنيّ، وأنّ مفردات العمالة والتخوين لم تتوجه صوب المتظاهرين مِن

---

(1) ياسر عودة، لماذا تخلقون الفتن بين أبناء الشعب الواحد؟، منشور على صفحته الرسمية على فيس بوك. http://ksa.pm/nth

(2) المرجع نفسه.

(3) البديل العراقي، بيانٌ للشيخ اليعقوبي مرشد حزب الفضيلة يتملق به انتفاضة تشرين الباسلة، 31 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nnm

مرجعيـاتٍ دينيـةٍ معتبـرة داخليـة، بـل جُلّهـا مِـن خـارج الحـدود!

وَمِـن رجـال الديـن العراقيـين الإصلاحيـين الذيـن سـاندوا المظاهـرات الشـيخ ميثـاق العسـر، الـذي دافـع عـن حقّ المتظاهـرين، وانتقـد تعامل الإيرانيـين مـع الانتفاضـة العراقيـة، وحاكمهـم إلـى مقـولات الخمينـيّ ورفاقـه فـي الثـورة والدولـة، وأورد بعـض نصـوص الخمينـي الـذي كان يلقيهـا فـي أتباعـه أثنـاء الثـورة الإيرانيـة ويدعوهـم فيهـا للإضـراب والتظاهـر وإيقـاف الحيـاة العامّـة.

وَمِـن المراجـع الذيـن دعمـوا التظاهـرات وطالبـوا بإقالـة الحكومة المرجع الدينـي كمـال الحيدري، فقـال فـي درس لـه: «إنه مع شـديد الأسـف وُضع الشـعب العراقـي فـي محنـة أخـرى لاً تقـل خطـورةً عـن سـابقتها، حيـث استحكمت طبقةٌ فاسدةٌ علًى مقدرات الأوضاع السياسيَّة وَالاقتصاديّة وَالاجتماعيَّـة، أوجـدت لـدى الأمـة حالـةً مِن اليأس والإحبـاط في وطنه. لقـد نبّهـتُ مـرارًا فـي السـنوات الماضيـة إلـى تفشـي حالـة الفسـاد التـي تعيشـها الطبقـة الحاكمـة بكل اتجاهـاتها ومكوناتهـا وتياراتهـا وأحزابها والتـي أصبحـت حالـةً معمَّمـةً في الحيـاة العامة للبلـد دون أيّ رادع دينـيّ أو قانونـيّ. ومـا المظاهـرات التـي خرجـت وسـتخرج إلا بمثابـة ردٍّ فعـلٍ طبيعـيّ علـى هـذه الحالـة. إننا نعلـن وقوفنا الكامل مع مطالب المحتجين فـي القَضـاء علـى هـذه الطبقة الحاكمـة، ونطالب الشـعب العراقي بعدم السـماح لأيّ جهـةٍ فاسـدة شـاركت فـي الفسـاد بـكل مكوناتهـا ومختلـف مرجعياتهـا، لركـوبٍ الموجـة، نطالـب الشـعب العراقـي بعـدم السـماح لأيّ جهـة فاسـدة شـاركت فـي الحكومـات الفاسـدة بركـوب الموجـة وتضييـع المطالـب الحقة للمتظاهريـن» [1].

(1) راجـع: السـيد كمـال الحيـدري يدعـو إلـى إسـقاط الطبقـة الحاكمـة فـي العـراق ويتضامـن مـع المتظاهرين، منشور على يوتيوب بتاريخ 23 أكتوبر2019م. https://www.youtube.com/watch?v=ksHxylhjzQY

وَمِـن المؤيديـن أيضًـا رجـل الديـن محمـد حسـن الأمـين، الـذي أيّـد تظاهـرات اللبنانيـين والعراقيـين، وقـال بـأنّ الدولـة المدنيـة باتـت مطلبًـا شـعبيًّا للجميـع [1].

وَمِـن الذيـن هاجمـوا المرشـد الإيرانـيّ واتهمـوه بالوقـوف وراء قمـع الشـعبين العراقـي واللبنانـي الشـيخ صبحـي الطفيلـي [2]، واتهـم إيـران بتخريـب العـراق ولبنـان [3].

وَمِـن المراجـع المؤيديـن للتظاهـرات منـذ أول يـوم المرجـع الدينـيّ تقـي المدرسـي [4]، الـذي طالـب رجـال الديـن بتوجيـه الحكومـة والوقـوف بجانـب النـاس [5]، وقـد جـدد تأييـده للتظاهـرات بعـد أحـداث العنـف

---

(1) جنوبية: محمد حسن الأمين يحي الانتفاضة البيضاء، 4 نوفمبر2019م. http://ksa.pm/nnr

(2) هـو رجـل ديـنٍ لبنانـيّ، ولـد سـنة 1948م، وهـو أول أميـنٍ عـام لحـزب الله، قبـل أنْ ينشـقّ عليـه، ولـه مواقفَ مناهضـة لتدخـل إيـران وحـزب الله فـي سـوريا والعـراق واليمـن. ولـه ملاحظـاتٌ كثيـرة علـى العمـل السياسـيّ لحـزب الله.

(3) راجـع: خطبـة الجمعـة 2019/11/1: «وكونـا للظالـم خصمًـا وللمظلـوم عونًـا»، منشـورة علـى يوتيـوب بتاريـخ 1 نوفمبـر2019م.
http://ksa.pm/ntf

وَعـن مواقفـه القديمـة مـن إيـران، راجـع: بيـروت أوبزيرفـر، صبحـي الطفيلـي: 3 دول يحكمهـا شـيعة.. وهـذا هـو حالهـا، 25 أغسـطس2018م. http://ksa.pm/ntg

(4) هـو مرجـعٌ دينـيٌّ عراقـيّ، ولـد فـي كربـلاء، سـنة 1945م، وكان مُنظّـرًا للتيـار الشـيرازيّ، قبـل تشـظي التيـار وانشـقاقه عنـه بعـد وفـاة محمـد مهـدي الشـيرازي. راجـع: السـيرة الذاتيـة علـى الموقـع الرسـمي للسـيد محمـد تقـي المدرسـي، علـى هـذا الرابـط: http://ksa.pm/ntb

وراجـع بعـض أفـكاره، فـي: بـدر الإبراهيـم ومحمـد الصـادق، الحـراك الشـيعي فـي السـعودية، ط1/ الشـبكة العربيـة للأبحـاث والنشـر 2013 م، ص86 ومـا بعدهـا.

(5) وكالـة أنبـاء الحـوزة، آيـة الله المدرسـي يحـدد أبـرز أسـباب المظاهـرات ويدعـو العلمـاء لتوجيـه الحكومـة والوقـوف مـع النـاس، 13 أكتوبـر2019م. http://ksa.pm/nnv

ووكالـة أنبـاء الحـوزة، المدرسـي: آيـة الله المدرسـي: ضـرورة وجـود قـوى الضّغـط لتصحيـح مسـار الدولـة وتنظيـم الجماهير، 26 أكتوبـر2019م. http://ksa.pm/nnw

والمدرسـي: كنـز الأمـوال وسـلب حقـوق النـاس سـبب دمـار البـلاد، 13 أكتوبـر2019م. http://ksa.pm/nnx

الأخيرة [1]. وهناك عشراتٌ مِن المعممين ورجال الدين الشيعة شاركوا في تظاهرات لبنان والعراق، ضد الهيمنة العراقية والنخب الحاكمة [2].

وهناك تياراتٌ شيعية عريضة ساندت المتظاهرين، وانتقدت التدخلات الإيرانية، مثل التيار الشيرازي، فقد أصدر المرجع الديني صادق الشيرازي زعيم الشيرازيين بيانًا جاء فيه: «يؤسَف للعراق هذا أنْ يصبح أتونًا للقتلى والجرحى للمؤمنين. إنّني وفي هذه المأساة الجارية والأليمة أُوصي الجميع بالسعي الحثيث لإيقاف هذه المجازر التي يندى لها جبين التاريخ. كما أُوصي الحكومة والجيش والشرطة والأمن لفسح المجال للمظاهرات السلمية أيًّا كانت، والمسارعة إلى تنفيذ مطالب المتظاهرين الكرام وترك المساس بهم، كما كان يصنع أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام أيّام حكومته العظيمة العادلة والفضيلة. كما أُوصي الشعب العراقي الأبيّ والمظلوم والمثابر الذي عانى ومنذ العقود العديدة الأخيرة عبر الحكومات الظالمة كل حيف واستبداد وطغيان بالالتزام في المظاهرات (بالسلمية) وبكل تأكيد، أنًّ لا يسمحوا بكل إصرار بأنْ يتوغّل في صفوفهم من يشوّهون سمعة هذا الشعب الغيور» [3].

---

(1) وكالة أنباء الحوزة، آية الله المدرسي يجدد دعمه للمظاهرات السلميّة ويحذّر من التأثر بإعلام الفتنة، 10 نوفمبر2019م.
http://ksa.pm/npa

(2) جنوبية، رغم الاضطهاد رجال الدين الشيعة يشاركون في الحراك، 10 نوفمبر2019م. http://ksa.pm/nnt

وَراجع: جنوبية، الشيخ كاظم ياسين للشيعة: ممنوع يكون فيه ضربة عصاية، 31 أكتوبر2019م. http://ksa.pm/nnu

(3) الشيرازي نت: بيان سماحة المرجع الشيرازي حول المظاهرات الأخيرة في العراق والأحداث الفجيعة التي تلتها، 30 صفر1441هجري. http://ksa.pm/nnq

ونخلُص مِن هذا كلّه أنَّ النخبة الدينية الإيرانية الحاكمة هي وحدها من ترى في التظاهرات تآمرًا، وعمالةً، وأنها ممولةٌ مِن قوى دوليَّة وَإقليميَّة، لكنّ النخب الدينية المحلية التقليدية والإصلاحية في معظمها تدرك حاجات الشباب والأجيال الجديدة للديمقراطية ولدولة مدنية، وعدالة اجتماعية! لكنّ إيران هي من تملك القوّة على الأرض، مما يجعل كفتها راجحةً في مواجهة النخب الدينية والحوزات المحلية التي تناهض الهيمنة الإيرانية.

خامسًا: الدلالات والأبعاد

هناك عدّة دلالات يُمكن قراءتها مِن خلال انتفاضتيّ العراقيين وَاللبنانيين، مِن أهمها:

1- حواضن التقليد وَالتمرّد على الوليّ الفقيه

واجهت ولاية الفقيه تمردات عميقة في بنية المجتمعات الشيعية في السنين الأخيرة، تدل على أنَّ ثَمّة تغييرات جوهرية آخذةٌ في التطور في بنية النسيج الشيعيّ، والعقل الجمعيّ، والذاكرة التاريخية، تُجاه النخبة الدينية الإيرانية وأطروحتها. تلك التحولات في المشهد الديني الذي تولى كبرها الشباب والنساء وأجيال ما بعد الثورة الإيرانية، بدت ملفتةً وجاذبة، إذ هي لم تنحصر في مكانٍ واحد حتى يمكن القول إنَّ الإشكال مكانيّ أو زمانيّ، بل اتسعت رقعة تلك التحولات لتشمل مواضع النفوذ الصلبة للولائيين، وتشمل الداخل الإيرانيّ نفسه، بل بدأت تلك التمردات مِن الداخل نفسه كحركات اعتراض فردية أو فئوية، حتى تشكلت بوصفها مطالبَ عامة لها ملامحً واضحة، سياسيَّةً وَاقتصاديَّةً

وَاجتماعيَّـة.

ويُمكن تفكيك خارطة تآكل بنى التقليد على مستوى الداخل والخارج من خلال ما يلي:

■ تآكل بنى التقليد داخليًا:

تواجه النخبة الدينية الإيرانية موجات احتجاجيَّة ضخمة في الداخل الإيرانيّ، مستمرةٌ منذ سنين، كان آخرها العام الماضي، ففي يناير 2018م، قام المحتجون بحرق إحدى الحوزات العلمية ومهاجمة بيوتٍ لرجال الدين. وقال آية اللّه غياض الدين طه محمدي، إمام صلاة الجمعة في همدان، في إشارةٍ إلى الغضب والاشمئزاز مِن الناس بشأن القمع والفساد والسرقة: «إنه خلال الانتفاضة تعرض 60 مكتبًا مِن مكاتب أئمة الجمعة للهجوم في معظم المدن الإيرانية» [1].

ثمّ في موجة احتجاجيَّة أخرى في أغسطس 2018م، هوجمت بيوت رجال الدين، وأُلقيَت الحجارة على بعض الحوزات العلمية، وحاول المتظاهرون كسر أبوابها، ورددوا هتافات «الموت للديكتاتور» [2]، في إشارةٍ إلى المرشد الأعلى.

وكانت تلك التمردات الداخلية والتجرؤ على المرشد الأعلى والنخبة الدينية، بمثابة كسرٍ للقداسة الدينية والهالة التي أحاطتها تلك النخبة بنفسها وبشخص المرشد، وهي في حقيقةِ الأمرِ تمرداتٍ على التقليد، وعلى ولاية الفقيه.

---

(1) المعهد الدولي للدراسات الإيرانية: الإيرانيون يتظاهرون أمام حوزة رجال الدين... قراءة في السياقات والدلالات، 7 أغسطس 2018م. http://ksa.pm/o0o

(2) المرجع نفسه.

■ تآكل بنية التقليد خارجيًا:

لم يمر سوى عامٌ واحدٌ مِن تلك التمردات الداخلية، حتى واجهت النخبة الدينية الإيرانية تمردات خارجيَّة في لُبّ هلالها الشيعي في العراق ولبنان، ومواقع نفوذها التاريخية والمذهبية، وعواصم التشيع المركزية، فانتفض العراقيون واللبنانيون ومنهم أكثريةٌ شيعية، ضد المرشد الإيرانيّ والنخبة الإيرانية وأذرعها المحلية الدينية والميليشياتية.

2- بروز الخلاف الإيرانيّ-النجفيّ

تباينت مواقف الحوزات العلمية والنخب الدينية الشيعية إزاء الانتفاضتين اللتين نشبتا في العراق ولبنان، في أكتوبر 2019م.

والحقيقةُ أنّ مواقفَ النُّخب الدينية الشيعية تجاه تلك المظاهرات لها دلالاتٌ عميقةٌ متعلقةٌ بالخلاف التاريخيّ بين النجف وَقُمّ، وبين الإصلاحيين والتقليديين.

فالنجف تاريخيًا لا تؤمن بأيّة ولاية للفقهاء على شؤون الناس السياسيَّة وَالمدنيَّة، إلا في الأمورِ الحِسبية فحسب، في حين أنّه وَوَفقًا لنظرية ولاية الفقيه بقراءتها الخمينية فإنّ ولاية المرشد الإيرانيّ لا تنحصر داخل الحدود الإيرانيّة، بل تمتدّ لتشمل كافة المسلمين بكلّ مذاهبهم وأطيافهم، وليس على عموم الشيعة فقط، ولذا فعادةً ما يُلقّب المرشد في الإعلام الرسمي الإيرانيّ بـ «وليّ أمر المسلمين»، وَمِن ثَمّ فإنّ تحديد الحكومة الولائية ضمن رقعة جغرافيةٍ خاصّة هو من باب الاضطرار فقط، بعبارة حجّة الإسلام

محسن كديور [1].

ووَفقًا للقراءة المعتمدة للنخبة الدينية الإيرانيّة ومُنظّري التيار الولائي فإنّ منصب المرشد الأعلى إنما هو بالتنصيب لا بالاختيار، ودور مجلس الخبراء إنما هو دورٌ كاشف، لا مؤسِّسٌ. وولاية الفقيه ولايةٌ مطلقةٌ تشمل ما هو دينيّ وَما هو دنيويّ.

وهذه الأبعاد الثلاثة (ولاية المرشد خارج الحدود، وشمول الولاية للدينيّ وَالدنيويّ، وابتناء الولاية على النصب لا الاختيار) هي المتحكمة في فلسفة النخبة الدينية وجماعة الفقهاء الإيرانيين في العلاقة مع الداخل المذهبي والجغرافي، ومع الخارج المذهبي والجغرافي أيضًا.

وهذه الفلسفة التي يعتمدها الولائيون، تُواجَه بصدود وعدم رضاءٍ مِن التقليديين النجفيين والقُمّيين على السواء، فثمة خلافاتٌ عميقةٌ بين المدرستين: الولائية والتقليدية بخصوص النظريةِ السياسيّة ومتعلقاتها.

وقد حاول الإيرانيون «الولائيون» السيطرة على النجف منذ نجاح الثورة العام 1979م، إذ إنَّ الشاه لم يسع لهذه السيطرة مِن قبل لأنّه علمانيّ لا يتبنى مشروعًا دينيًا حركيًا، ولأنّه أيضًا هدَف إلى نقل الثقل الشيعي إلى النجف بعيدًا عن قمّ كي يتجنب الصراع المستمرّ مع الحركيين مِن رجال الدين.

في حين أنّ نظام ما بعد 1979م هو دينيّ صرف، يصارع النجف على المذهب داخليًا ويُصارع المؤسَّسات الدينية كالأزهر، وكذلك

(1) محسن كديور، الحكومة الولائية، ترجمة السيد مهدي محمد حسن الأمين، ط/ مؤسَّسة الانتشار العربي 2015م، ص11.

العواصم السنية المركزية مثل مكة والمدينة ودمشق وإسطنبول، والقاهرة، على الدين خارجيًا، فالمعركة عنده هي معركة صراعٍ على الإسلام وتمثيله، وعلى توجه ولاءات المسلمين.

وتبَنَّى الإيرانيون إستراتيجيةً عمليةً في هذا الصراع الدائر حول الدين والمذهب، تشكلت مِن مسارين: تعلَّقَ المسار الأوّل، بخلق جيوب وأذرع صُلْبة على غرار نموذج الحرس الثوري الإيرانيّ، كَـ «الحشد الشعبي» في العراق، وَ«حزب الله» في لبنان، وَ«أنصار الله» في اليمن.

وتعلَّق المسار الثاني بتخليق بيئة دينية موالية لطهران، وموازية للنجف ومنافسةٍ لها في ذات الوقت بغيةً إضعافها إنْ لم يتمَّ السيطرة عليها بمرور الوقت خاصةً بعد رحيل المرجعية العليا الحالية -الممثلة في آية الله السيستاني-التي تدرك إلى حدّ بعيد تلك التعقيدات وخرائط الصراع التي تمرّ بها الجماعة الشيعية ومدى الضغوط الإيرانيّة عليها. ولمْ يكن الاستثمار في خلق هذا الهلال الشيعي مصادفةً أو محض عشوائية بل كان نتيجة تخطيطٍ إستراتيجي عملت عليه النخبة الدينية الحاكمة منذ نجاح الثورة وحتى اليوم، وقد سمّاه أحد المقربين مِن الخمينيّ بـ «البحر الشيعي الممتد من حدود باكستان حتى البحر المتوسط» [1].

لكن لم يسلم هذا الهلال مِن نتوءات عكّرت مزاج الإيرانيين، إذ بدى أنه غير صُلب، وتعتريه هشاشةً بسبب الطرائق التي أدار بها الإيرانيون علاقتهم مع الدول الوطنية ذات السيادة، ومع الجماعات المحلية دون الدولة، خاصةً فيما يتعلق بالأوضاع

(1) راجع: محمد حسنين هيكل، مدافع آيات الله، ط/ دار الشروق القاهرة 2009م، ص265.

الاقتصاديَّة وَالسياسيّة وَالاجتماعيَّة، بل وربّما المذهبية، علاوةً على حالة الاستعلاء الإيرانيّ القوميّ تجاه تلك المجتمعات.

بدت هذه الهشاشة جليّةً في تلك الانتفاضة العارمة التي شهدتها المناطق الشيعية في العراق ولبنان، وما رافقها مِن هتافات ضد إيران وتمزيق لصور المرشد الإيرانيّ، ومحاولات اقتحام للمقرات الدبلوماسية الإيرانيّة في عواصم التشيع التاريخية كما حدث في النجف وكربلاء.

وبدا على السطح أيضًا ذلك الخلاف التاريخيّ بين النجف والأطروحة الخمينية، المستمرّ منذ آية اللّه محسن الحكيم الذي اختلف كثيرًا مع الخمينيّ عندما كان في النجف، ثم خليفته آية اللّه الخوئّي الذي اختلف أيضًا مع الخمينيّ لكن بمواجهةٍ أعمق، ومنافسة أشدّ، ثمّ في صورته الراهنة بين آية اللّه السيِّستاني والمرشد الإيرانيّ علي خامنئي، فلم ترضخ إيران قطّ لمرجعية النجف منذ الخمينيّ الذي ذهب إلى النجف بوصفه مرجعيةً حركيةً يبحث عن بيئة تقليد وَنفوذ، لا كمُقلّد وتابع للنجفيين، ولم ترضخ النجف هي الأخرى لإرادة الإيرانيين ولا لفلسفتهم، وتنظرُ إليهم بريبة وشكّ.

خاتمة: تدميرُ الذات.. تآكل الهلال الشيعيّ

مِن اللّافت للنظر هو انتفاضة الناس في العواصم المركزية للتشيع ضد الهيمنة الإيرانية وأذرعها المحلية، فهذا الحراكُ الشيعيّ يُعتبر أول تمرّد عريض ضد التبعية للوليّ الفقيه في إيران، في قلب العواصم التي عدَّتها إيران يومًا مّا جزءًا مِن مجالها الحيويّ

الصلب، لكن مؤشرات هذا الحراك تدلّ على أنّه كان ثَمّة تضخيمٌ متعمدٌ مِن الجانب الإيرانيّ للقوة الإيرانية في المنطقة، وللهلال الشيعي والأذرع العسكرية الإيرانية، وأنَّ ثَمّة هشاشةً في بنية هذا الهلال، هشاشةً مذهبيةً، وَسياسيةً، وَاقتصاديةً، أدت إلى انفجار الجماهير.

والحقيقةُ أننا شهدنا تمردات داخلية ضد ولاية الفقيه في إيران في أعوام 2009م، وَ2017-2018م، بقوة وبكثافة، وانتشرت حتى عمت كافة المدن الإيرانية، ولا يزال قطاعٌ عريضٌ ممّن شاركوا فيها قيد الاعتقال أو الاختفاء القسريّ. هذه التمردات تزداد وتتسع رقعتها وفاعليتها في أوقات الأزمات، ويدرك النظام ذلك جيدًا فيحاول دومًا تخليق أعداء وصناعة هاجس مظلومية واستشعار للخطر في جانب الأمّة الإيرانية والمذهب الشيعي، مما يكفل له تماسك العصب الإيرانيّ، في مواجهة الخطر المتوهَّم الخارجيّ، والأعداء المحيطين بإيران ممن يريدون القضاء عليها. فتمّ صناعة العدو التركي، والعدو السعودي، والعدو الأمريكي، وهلم جرّا. والمتابع للصحافة اليومية الإيرانية وخطابات النخب الدينية والسياسية يدرك بأدنى وهلة صناعة الأعداء وزيادة وتيرة النبرة الإيرانية للتحذير من تلك المخاطر المحيطة بالأمة الإيرانية والحضارة الإيرانية. لكن ومع زيادة معدلات الفقر والفساد، والاستبداد، داخليًا، ما عاد يجدي هذا الخطاب مع الناس التي مسّها الضرّ بفعل النخبة الحاكمة.

قريبًا مِن هذا حدث على المستوى الخارجي إذ بعدما انتصر العراقيون على تنظيم الدولة الإسلامية داعش، وهُزم العدوّ الحقيقيّ واستردوا المدن المحتلة، بدأ الناس يطالبون بحقوقهم

فـي الحيـاة الكريمـة، والمشـاركة السياسـية العادلـة.

أيضًـا فـإنّ النجـف ضاقـت ذرعًـا بالنفـوذ الإيرانـيّ فـي العـراق، ومحاولتها كبـح النجـف، وتخليـق مرجعيـاتٍ مواليـة لهـا، علـى خـلاف الميـراث الحـوزويّ، والـدرس الفقهـي التاريخي المعتمد نجفيًا وَشـيعيًا، وتـرى النجـف أنهـا أصـل التشـيع، وأنهـا الامتـداد الطبيعـيّ للأئمـة المعصومـين وَمـن بعدهـم، وفـي نفـس الوقـت يـرى الولـيّ الفقيـه أنّ ولايتـه تمتـدّ حتـى علـى فقهـاء النجـف، ويتجاوزهـم فـي كثيـرٍ مِـن الأحايـين. وَمِـن ثَـمّ فـإنّ النفـوذ الإيرانـيّ فـي العـراق علـى مسـتوى المذهـب والسياسـة هـو نفـوذٌ غيـر خالـص، ولا يُمكن الجـزم بديمومته علـى المـدى البعيـد.

إذن نحـن أمـام مواجهـةٍ شـيعية-إيرانية، الجماعـة الشـيعية تُواجـه إيـران فـي الداخـل والخـارج، فخطـاب الثـورة، لـم يعُـد يغـري هـذه الفئـات لأنّ إيـران ترفـع شـعار الثـورة، وتقمع ثورتهم، في نفس الوقت. ترفـع شـعار «هيهـات منّـا الذلـة»، وتذيقهـم سـوء القنـص والمعتقـلات، والاسـتبداد، والفسـاد. فـأدرك النـاس ازدواجيـة الخطـاب الإيرانـي، وتوظيفـه للديـن، واسـتغلاله للمذهـب. ولـذا فـإنّ إيـران ومـع ديمومـة سياسـتها فإنهـا تدمـر ذاتهـا، وسـيأتي يـومٌ تواجـه فيـه الجماعـة الشـيعية برمتهـا، وَمِـن ثَـمّ فـإنَّ أفضـل إسـتراتيجيةٍ لمواجهـة إيـران هـي إخـلاء السـاحة لهـا كـي تسـتمر فـي اسـتفزازٍ أبنـاء طائفتهـا الذيـن باتـوا يدركـون جيـدًا عدوّهـم الحقيقـيّ.

حينمـا أراد العراقيـون واللبنانيـون أن يتوحـدوا تحـت رايـةٍ وطنيـةٍ واحـدة وأنّ ينبـذوا الطائفيـة والمحاصصـة، فوجئوا أنّ القـادة يرفضـون العـدولَ عـن المحاصصـة، وفوجئـوا أنّ الإيرانيـين وأذرعهـم المحليـة

ينفخـون فـي أوتـار المذهبيـة والطائفيـة كـي تتحـول التظاهـرات/ الثورات إلـى تطاحـنٍ طائفـيّ، واشـتباك مذهبـيّ، وحينئـذ تبـرز إيـران كنصيـر وحاضـن لطائفتهـا ومذهبهـا، كعادتهـا فـي ذلـك التوظيـف.

وأخيـرًا، فإنّـه وبغـض النظـر عمّـا سـتؤول إليـه أحـداث انتفاضتـيّ العـراق وَلبنـان فـإنّ الإيرانيـين خسـروا جـزءًا كبيـرًا مِـن هيبتهـم المذهبيـة، إذ لـم تتوقـع الجماعـة الشـيعية أنْ يتوجـه السـلَاح الإيرانـي صـوب رؤوسـها فـي يـوم مِـن الأيّـام، وإنّ تلـك الهشاشـة فيمـا ظنتـه إيـران هـلالًا شـيعيًّا مواليًـا لهـا، آخـذة فـي التمـدد لا محالـة بفعـل الأجيـال الجديـدة التـي لا يروقهـا خطابـات الأيديولوجيـا والإسـلام السياسـيّ، بقـدر مـا تريـد حيـاةً كريمـةً علـى الأرض.


Rasanah
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies